IUGJEPS
Vol 30, No 1, 2022, pp 967-991

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (11-1-2021)، تاريخ قبول النشر (22-3-2021)

جمالية العقيدة الإسلامية ومقاصدها في البناء الفكري الأخلاقي للشخصية الربانية

اسم الباحث: د.نورة إدريس محمد الجراري 1 *

1 اسم الجامعة والبلد: جامعة الجوف - كلية الشريعة والقانون- قسم الدراسات الإسلامية- المملكة العربية السعودية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: jirarinoura@gmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.1/2022/31

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان جمالية العقيدة الإسلامية في بناء الشخصية الربانية، فالعقيدة الصحيحة هي أساس تكوين البناء الفكري والأخلاقي لكيان المسلم والأمة المسلمة، وهي الضامن للتوازن النفسي والاجتماعي والعمراني، وبها تتحقق الربانية كسمة عقائدية لشخصية المسلم. فالشخصية الربانية تتميز ببناء فكري وأخلاقي إيماني، يعد تجليا لجمالية العقيدة الإسلامية في بنائها وفق تصور عقدي لما يحبه الله ويرضاه، وإدراك صحيح لحقيقة التوحيد، وبهذا البناء العقدي للشخصية الربانية تتحقق المقاصد العقدية فيها.

The aesthetic and purposes of the Islamic faith in the ethical intellectual construction of the divine personality

The research aims to show the beauty of the Islamic belief in building the divine personality. The correct belief is the basis for the formation of the intellectual and moral structure of the Muslim entity and the Muslim nation, and it is the guarantor of the psychological, social and urban balance, and through it the divinity is realized as dogmatic feature of the Muslim's personality.

The divine personality is distinguished by the intellectual and moral construction of faith which is a manifestation of the beauty of the Islamic faith in its construction according to a nodal visualization of what Allah loves and pleases, and a correct awareness of the reality of monotheism, It is through this nodal structure of the divine personality that the doctrinal purposes are fulfilled in it.

Keywords: **Islamic belief, The aesthetic, purpose, the divine personality**

المقدمة:

تعتبر العقيدة قوة هائلة مؤثرة في إرادة الإنسان الحر العاقل، فهي الموجه لكل خير، فالإرادة الحرة والعقل هما المميزان لسلوك الإنسان عن غيره. وقد مثلت العقيدة في التاريخ الإنساني الصلة بين الإنسان وربه، إن المعتقد الديني في أي أمة هو إكسير الثبات والخلود، ومصدر أفكارها الأخلاقية وتصوراتها وفاعليتها، إن العقيدة الإسلامية تمثل الرؤية المركزية التي توجه الإنسان نحو أسمى الغايات، وإذا كانت الحضارة الإنسانية تَجل للخصائص الإنسانية والفكرية والوجدانية والسلوكية، فإن تلك الخصائص تقومها وتغذيها العقيدة الإسلامية وتسهم في تشكلها وتهذيبها، ولذا فإن البناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية يتشكل في ظل جمالية ومقاصد العقيدة الإسلامية الصحيحة.

مشكلة البحث:

1- ما أهمية العقيدة الإسلامية في البناء الفكري والأخلاقي لبناء الشخصية الربانية؟

2- أين تتجلى جمالية العقيدة الإسلامية في بنا الشخصية الربانية وما أهم معالمها؟

3- ما أهم المقاصد العقدية وأثرها في بناء الشخصية الربانية؟

منهج البحث تبعا لقالب المجلة:

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي.

طريقة البحث:

- جمع المادة العلمية من مصادرها ومظانها.
- التوثيق العلمي للنقول من مصادرها، وجعلها في حاشية البحث.
- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف، وضمها في المتن مباشرة بعد الآية، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث من الصحيحين أو أحدهما، أو من كتب الحديث إذا لم يوجد بالصحيحين.
- تذييل البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على المصادر، لم تقف الباحثة على دراسات سابقة في بيان جمالية ومقاصد العقيدة الإسلامية في البناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية، وإنما وقفت على دراسات وأبحاث حول ظاهرة التدين، وكذا دراسات حول الشخصية القرآنية أو مقومات الشخصية في القرآن أو المقاصد القرآنية في تشكل الشخصية، وأغلبها ركزت وربطت بمفاهيم الدرس المقاصدي منها ورقة بحثية لدكتور "عباس علي حميد العبيدي" بعنوان "أثر المقاصد القرآنية في بناء الشخصية الإسلامية" ناقش فيه الباحث أهمية المقاصد القرآنية جزء من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح العباد، ومن ذلك بيان سمات الشخصية الإسلامية وما الأصول والأساسيات القرآنية لبنائها.

ومن الدراسات كذلك ولا يسع المجال لاستعراض جميع الدراسات إضافة أن مواضيعها تختلف وموضوع البحث الذي يتناول "جمالية ومقاصد العقيدة الإسلامية في البناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية".

هيكل البحث:

يتكون البحث من:

المقدمة: وتشمل خلاصة للبحث مع إيضاح مشكلة وأهداف ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: العقيدة الإسلامية والبناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العقيدة الإسلامية والبناء الفكري للشخصية الربانية.

المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية والبناء الأخلاقي للشخصية الربانية.

المبحث الثاني: الشخصية الربانية في ظل جمالية ومقاصد العقيدة الإسلامية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشخصية الربانية في ظل جمالية العقيدة الإسلامية.

المطلب الثاني: المقاصد العقدية لبناء الشخصية الربانية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويجعله خالصا لوجهه الكريم، فما كان فيه من توفيق وسداد فهو محض فضله وكرمه وتوفيقه سبحانه، وما كان فيه من خطأ وتقصير وزلات فمن طبيعة النقص البشري.

وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وأله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: العقيدة الإسلامية والبناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية.

المطلب الأول: العقيدة الإسلامية والبناء الفكري للشخصية الربانية:

تعتبر العقيدة قوة هائلة مؤثرة في إرادة الإنسان الحر العاقل، فهي الموجه لكل خير ، فالعقيدة الموجهة للإرادة الحرة والعقل الصحيح هي المميز لسلوك الإنسان عن غيره.

فسلوك غير الإنسان من المخلوقات تحكمه الدوافع والغرائز الفطرية، في حين أن الإنسان تحكم قواه وشهواته وغرائزه الفطرية الإرادة الحرة التي يوجهها العقل، هذه الهبة الإلهية التي ميز بها عن باقي المخلوقات في هذا الكون، ومتى "استرشدت إرادته بعقله وكان إدراكه للأمور صحيحا سليما استقام سلوكه لمقدار سلامة وصحة إدراكه للأمور "[(1)]

في حين إذا كان الموجه لتلك الإرادة شهواته وإرادته، بأن صار لها سلطة الأمر والنهي على العقل، فالنتيجة ستكون السير به نحو التهلكة والضياع. والنماذج على ذلك كثير في تاريخ الحياة الإنسانية والأقوام السابقة التي خلد القرآن الكريم قصصها، ورب العزة في محكم كتابه يقول: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف/ 111]. فمن قوم نوح إلى زماننا متى غلا الانسان في شهواته وإرادته طغى وحاد عن الإيمان إلى الإشراك والكفر والالحاد.

إن العقيدة ذات نزعة فطرية يشترك فيها البشر جميعا، ففكرة الاعتقاد بمعبود خالق مسيطر كانت نشأتها مقارنة لنشأة الإنسان[(2)]، إن نزعة التدين وفطريتها من مؤسسات الفكر البشري، فالإنسان لا يستطيع الحياة دون أن يكون له معتقد يؤمن به، وإله يلجأ إليه، ودين يفسر من خلاله كل التساؤلات ذات الطابع الغيبي الذي لا يستطيع الإجابة عنه بذاته، وتفسيره إلا من خلال قوة خارقة عظيمة.

وقد مثلت العقيدة في التاريخ الإنساني الصلة بين الإنسان وربه، باعتبارها الضابط والمحدد للواجبات التي فرضها الخالق، تلك الواجبات المتمثلة في التزامات البشر نحو بارئهم، ونحو إخوانهم، ونحو أنفسهم.

وقد مثلت العقيدة الدينية قوة، مبناها إيمان مؤسس على الفكر والوجدان دون اعتبار لحدود الزمان والمكان فيها، وقد عبر عن هذه العقيدة في طقوس تعبدية، تلك الطقوس التي جاءت لتعبر عن فكر الإنسان وعما يختزنه من طاقة عقلية مرتبطة بقوة عظمى، كما كان المؤشر لعمل وجداني يعبر عن محبة للذات الإلهية بأبعادها الغيبية.

وقد ظلت العقيدة الدينية هي الموجه لسلوك الإنسان، وفقا لما كان يحسه من صلة خفية بين روحه وذات علوية غيبية خفية، لها الحكم والسلطان على سائر العوالم، وبأن سعادته بها ما كانت لتتحقق إلا بذلك الشعور والصلة.

وقد ظل السؤال الذي طرحه علماء مقارنة الأديان حول الصورة الأولى لنشأة العقيدة مثار جدال ونقاش بينهم. هل الأصل الأول في التدين التوحيد أم الوثنية والشرك؟

---

(1) الميداني، العقيدة الإسلامية (ص 30).

(2) دراز ، الدين، (ص 82).

من الباحثين في علم مقارنة الأديان كسبنسر Spencer، وتيلور Tylor، وفريزر Frazer، ودوركايم Durkhiem.. ذهبوا إلى أن الأصل الأول للعقيدة الدينية كان بدائيا شكله شكل الحياة الأولى للإنسان، وذلك لأن العقيدة كانت تسير مع الإنسان سيرا حثيثا، فمتى ترقى ترقت معتقداته ومتى تقاعس وعاد القهقرى جاءت معتقداته معبرة عن ذلك.

الأمر الذي يجعل الصورة الأولى لنشأة العقيدة ذا طابع أسطوري خرافي، لكونها الأصل الأول للعقيدة الدينية، فالأسطورة عبرت عن الصورة المختزنة لعقل الإنسان الأول، فقد "وجدت أساطير كثيرة لا تتجاوز الأوصاف الرمزية والمشابهة الفنية التي طبع عليها الخيال، فهي ترجع إلى ملكة التجسيم والتصوير، ولا ترجع إلى ملكة الإيمان والاعتقاد"(3)

ومع ترقي الإنسان في مدارج الحضارة، ترقي في فكره الديني حتى بلغ إلى عقيدة الإيمان بالإله الأوحد "كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم أن عقيدة [الإله الأحد] عقيدة جد حديثة، وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي"(4) هذه النظرية هي التي كانت سائدة في أوربا خلال القرن التاسع عشر واشتهرت هذه النظرية بنظرية التطور الداروينية.

بيد أن هذه النظرية ما يجعل طرحها طرحا مجانبا للصواب والحق، نظرتها للكائن البشري الأول نظرة نقص وكأنه خلق غير قادر على استيعاب الحقائق العظمى وتقبلها، بل هو عند أصحاب نظرية التطور الدروينية أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان الذي حباه الله بالعقل والفكر، زد على ذلك أن أصحاب هذا الرأي اعتبروا الإنسان هو الذي يبلغ إلى معتقداته الدينية بنفسه دون موجه ومبشر، وبالتالي جعلوا الجانب الروحي منه كالجانب المادي، فجعلوا ارتقاءه في فكرته الدينية وبلوغه معرفة الله كارتقائه في صناعاته وعلومه، الأمر الذي جعل من هذه النظرية مجرد فروض وتأويلات، فأغرقتهم في بحر لجي من التساؤلات لم تبلغهم شاطئ اليقين.

في مقابل هذه النظرية برزت نظرية مقابلة لها والتي عرفت بـ"فطرية التوحيد وأصالته" وأشهر دعاتها شريدر Sehroeder، وبروكلمان Brockelman، ولرواه La Roy، كاتر فاج Quatrefages، ذهبت إلى أن الصورة الأولى للتدين تمثلت في عقيدة التوحيد، وبأنها أصل التدين عند جميع الأمم، وما ظهر من وثنيات وشرك كان مجرد أمراض عارضة طارئة بجانب عقيدة الإله الأوحد، وقد اشتهرت هذه النظرية بنظرية فطرية "التوحيد وأصالته"، وقد عمدوا في إثبات أراءهم تلك على دراسة أقدم القبائل البدائية في كل من أستراليا وأفريقيا وأمريكا، حيث كان الطابع العام لعقيدتهم هو الإيمان بالإله الأعلى(5)، على أن النتائج التي بلغتها كلا النظريتين تظل مجرد فروض قامت في أذهان الباحثين الغربيين ولا أساس علمي لها، ولا يمكن الجزم بصحتها، وقد بسط محمد عبد الله دراز في كتابه الدين كل النظريات التي بحثت عن نشأة العقيدة الدينية وصورتها الأولى، وأدلتها في ذلك ومدى واقعيتها ومجانبتها للحق والصواب(6).

---

(3) العقاد، الله جل جلاله، (ص 10).
(4) دراز، الدين، (ص 107).
(5) دراز، الدين، محمد عبد الله (ص 107 / 108).
(6) انظر: دراز، الدين، محمد عبد الله (ص 106 / 107 / 108 / 109 /110).

ولعل الوحي الإلهي هو المخرج من هذه الصراعات الفكرية التي لا جدوى من ورائها، فالقرآن حمل بين دفتيه ما يغني الإنسانية عن السؤال حول الصورة الأولى للعقيدة الدينية وأصلها، وإذا كان الباحثون الغربيين قد أنهكوا أنفسهم في دراسة تاريخ الأمم البائدة وأدخلوا البشرية في تساؤلات وسفسطة لا طائل من ورائها، ذلك لأن دراسة تاريخ الإنسانية منذ فجر البشرية يظل أمرا مستحيل التحقق ويصعب توثيقه.

بيد أن القرآن قد أرخ لتلك الحقائق حتى تكون نبراسا لمن يريد الحق والإيمان، لأن هذا الوحي كلام الله عز وجل، الذي تكلم به سبحانه وكل النظريات والدراسات لا حاجة لها أمام الوحي، وهذا ما يعتقده المسلم ويدافع عنه، لأنه مصدر طمأنينة يعلو على كل المصادر التاريخية.

والأمر الذي لا مرية فيه أن القرآن جاءت كل موضوعاته حول عقيدة التوحيد، فهي الدين الحنيف، دين الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي موجودة مع وجود الكائن البشري {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم / 30]

فالناس يولدون على فطرة التوحيد، ما لم تخالطها شوائب الشرك والضلال، من التنشئة على غير دين الله، والتربية على الكفر والضلال والخضوع لأوامر الشيطان وإتباع ضلالاته، وهذا ما جاء في جزءٍ من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن الله عز وجل: "...وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"(7)، وبهذا فإن الأصل في العقيدة الإنسانية هو التوحيد والطارئ الشرك والوثنية.

ولذا سلك القرآن لإرشاد الناس إلى بلوغ الحقائق الكبرى مسلكا يسيرا تبلغه كل العقول على اختلاف مراتب الاقتناع لديها. بأن أرشدهم إلى فتح البصائر والعقول على آيات الآفاق والأنفس {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ} [آل عمران / 190] وقال جل شأنه {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات / 21] ، فالنظر والتدبر في آيات الأنفس والآفاق يعتبر مقدمتين أساسيتين لمخاطبة العقل الإنساني. ولا غرابة أن نجد وسائل الدعوة ومناهجها متنوعة تنوع الطباع والعقول الإنسانية في تقبلها للعقيدة الدينية.

وليس من كمال الذات الإلهية أن تخلق الخلق وتدفعهم إلى الحياة الدنيا دون معلم ومرشد، فلا بد لها من موجه يعينها على بلوغ الحق ويرشده إلى سواء السبيل حتى إذا ضل عن الحق أقام عليهم الحجة، فبني آدم كانوا أمة واحدة على دين التوحيد الخالص لكنهم اختلفوا فتفرقت بهم السبل فبعث الله الرسل لإقامة الحجة عليهم {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [البقرة / 213].

---

(7) مسلم، صحيح مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بهما في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (ج4 / 2197) الحديث رقم 7136.

إن الوحي الإلهي قد أجاب الفكر البشري عن كل ما قد يثيره من تساؤلات، كما ووجههم إلى الغرض من خلق الخليقة هو عبادة الله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات / 56].

ونخلص من وراء ما سبق طرحه من نظريات ونقاشات حول الصورة الأولى للتدين، أن العقيدة الدينية ظلت الشغل الشاغل لبني الإنسان منذ نزوله على البسيطة، الأمر الذي يؤكد أهميتها ودورها في الفكر الإنساني، فالإنسان بدافع من قوته العقلية والوجدانية وإرادته هو في بحث حثيث عن عقيدة دينية تحكمه وترشده إلى الخير، فالفكرة الدينية هي صمام أمان للعقل البشري، فالإنسان بطبعه يحتاج إلى قوة تضبطه وتحكم حريته فيسير على نور من هديها، فهي طاقة تأخذه إلى مكامن الخير والنجاة وتحميه من الشر ونوازعه وبواعثه.

فحاجة الإنسان إلى العقيدة أمر يشترك فيه كل البشر، سواء في ذلك أقلهم علما وثقافة وتحضرا، أو أكثرهم علما وفكرا، فالإنسان مفطور على التدين، ولو فرض أن فئة من البشر تركت من غير دين فستجد لها معتقدا تركن إليه وتستظل بظله، فبقاء الأمم وخلودها رهين بما تعتقده.

فمن المستحيل أن يستغني الإنسان عن غذائه الروحي أمام ما تحياه الإنسانية من زحف مادي، فالروح لا تغذيها إلا العقيدة ولا يعرف لها نماء إلا بها، فهي مصدر كل رقي ورفعة للبشرية، فالمادة لا يمكنها إشباع النهم الروحي والعاطفي للإنسان، بل متى وقع ذلك فإن النتائج ستكون وخيمة، ولعل الحضارة الغربية شاهدة بذلك، فأمام التقدم المادي الذي عرفه العقل الغربي، وتقدمه على مستويات عدة من مسارات الحياة، لم يعوض حاجته إلى عقيدة تضبط سلوكه وحرياته.

إن الشعور الديني في أي أمة هو إكسير الثبات والخلود، ومصدر أفكارها الأخلاقية وتصوراتها وفاعليتها، ولذلك تكون المظاهر الحياتية في مجملها نتائج ملائمة للعقائد والتقاليد والعوامل النفسية المهيمنة عليها، فأثر الفكرة العقدية تتجلى في ضبطها للسلوك الإنساني، فمتى حاد الإنسان عن هذا الضابط كان السبب الحقيقي لحياده عن جادة الطريق، ولا ضير أن يصبح إذاك عنصرا للهدم والفساد، فيضيع الأمانة التي أوكل بحملها {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}[الأحزاب / 72].

فالانضباط العقدي لا تضيعه أمة عاقلة، لأن العقيدة الدينية بمثابة النواة للخلية، فالأمم من دونها لا تستطيع التقدم والنهوض دونها، فهي العامل المباشر والمؤثر في جميع المناحي الحياتية.

فمتى استمرت العقائد في توجيه الفكر الإنساني كان نتاجها عظيم لا على اعتبار أنها عاملة بذاتها فالتاريخ الإنساني أثبت العكس، لوجود أمم كانت تحيى في ظل عقيدة دينية لكن رغم ذلك لم تستطع الرقي لا فكريا ولا اجتماعيا ولا اقتصاديا ولا حضاريا، وذلك عائد إلى اختلاف النضج الفكري في الأخذ بها وسبر مكنوناتها، وجعلها مؤثرة في النتاج الحضاري.

وللمفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي بحوث ودراسات في هذا الصدد، يثبت من خلالها أثر العقيدة في الفكر الإنساني، ومدى آثارها الكبرى في نهوض الأمم . خاصة الأمة الإسلامية . وانعتاقها الحضاري، فالحضارة كما يقول: "لا تنبعث..إلا بالعقيدة الدينية"[8]

وفي كتابه شروط النهضة اعتمد في تحليله على ملاحظة نشأة كل من الحضارتين الإسلامية والمسيحية، وكيف كانت الفكرة الدينية نقطة انبعاث وتأثير لتشكل ذهنية الفرد، وكيف عملت على تغذية روح الإنسان المسلم وأضاءت له الطريق نحو أسمى الغايات، وخلقت له خلقا جديدا، فيقول "نعم إنه لمن الغريب أن يتحول هؤلاء البسطاء ذوو الحياة الراكدة، عندما مستهم شرارة الروح، إلى دعاة إسلاميين، تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الجديدة، وأن يدفعوا بروحها وثبة واحدة، إلى تلك القمة الخلقية الرفيعة التي انتشرت منها حياة فكرية واسعة متجددة "[9]

بلى إنه أثر الكمال الإلهي على الإنسانية ذات الطابع المادي والتي متى تركت هملا ضاعت وأضاعت. فكل معتقد هو بمثابة بذور اللقاح لفكر الإنسان وحضارته.

إن العقيدة الدينية تمثل الرؤية المركزية التي توجه الإنسان نحو أسمى الغايات، وإذا كانت الحضارة الإنسانية تَجل للخصائص الإنسانية والفكرية والوجدانية والسلوكية، فإن تلك الخصائص تقومها وتغذيها العقيدة الدينية أو الفاعلية الروحية وتسهم في تشكلها وتهذيبها.

إن نتاج الفكر الإنساني المتمثل في الحضارة الإنسانية، لهو نتاج قائم على قوة العقيدة الدينية، فالكائن البشري لا يحقق إنسانيته إلا بمعرفة ذاته، ويضل عنصرا مؤثرا في حضارته متأثرا بعقيدته، فخلقه واستخلافه باعتباره محور الحضارة الكونية.

ولهذا تعد العقيدة الدينية ضابطا له من الوقوع في رعونات نفسه، وحتى لا ينساق وراء رغباته، ولهذا كانت الضرورة إلى المعتقد ملحة حتى يهتدي إلى استغلال الطاقات الكونية بطرق سليمة ومفيدة للبشرية جمعاء، وصلاح الفرد يتجلى في صلاح المجتمع، فالجماعة التي تجمعها عقيدة توحد مسارها، وتجمع شتاتها وتوحد رؤاها، وتجعل من اختلافها تنوعا تتكامل وتتواصل به.

فللعقيدة الدينية "وظيفة إيجابية أعمق أثرا في كيان الجماعة، ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم ولا يعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة، أو الجوار، أو المصالح المشتركة"[10]

إن أهمية العقائد الثابتة التي يحملها الإنسان والتي تشكل جملة المفاهيم التي تحكم حياته فتوجهه إما إلى جلب المصلحة أو دفع المفسدة، أو ما يسمى بفلسفة الخير والشر، هي ثمرة لعمل عقلي منظم مسبوق بالإرادة والاختيار الحر، يثبت بالإذعان والتصديق، والإيمان والاعتقاد بها لا يتم تلقائيا أو بقوة جبرية أو يلقى في قلوب الخلق من غير اختيار، بل هو مجهود فكري يبذله العقل حتى يثبت في الإنسان ولا يزعزعه شيء.

(8) ابن نبي، شروط النهضة، (ص 56).
(9) ابن نبي، شروط النهضة، (ص 57).
(10) دراز، الدين (ص 101).

فتشكيل العقيدة من منطلق فكري وجداني إرادي يمثل حصنا حصينا يصعب اختراقه أو إنكاره، فهي تمثل مفاهيم وتصورات من المسلمات التي توجه العواطف والغرائز، وحين تبلغ العقائد هذا المبلغ من الرسوخ، مع التسليم لها إذاك يصير إيمانا جازما لا يزعزع معتنِقه.

فالعقيدة بمثابة الطعام والماء للشخصية الربانية، فكما أن الجسم لا يقوى بدونهما فكذلك الروح لا تقوى بدون عقيدة، فحياة الشعوب مؤسسة على العقائد، والإنسان مفطور على الاعتقاد وهي التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، ولهذا يقال بأن التدين خاصية مميزة للإنسان.

المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية والبناء الأخلاقي للشخصية الربانية:

العلم بحقيقة توحيد الله عز وجل، يكسب الإنسان شعورا بقيمة حياته ومستقره، ذلك أن الإيمان بالله عز وجل والإقرار بربوبيته وألوهيته، واتصافه بصفات الكمال والجلال، ينمي في الكائن البشري منابع الخير والصلاح، فكلما استقر الفهم الصحيح للعقيدة الصحيحة عنده، إلا وزادته قوة ودفعته إلى بلوغ المراتب الأولى في معالي الخيرات والفلاح، والتمسك بكل المكارم والأخلاق الفاضلة، وسلك السبيل الأقوم في الحياة.

فحقيقة الأخلاق تتجلى في تمييزها الخير والشر، وحتى يترقى الإنسان في مدارج الخير والصلاح، لابد له من الإيمان بالله والاستعانة به، وطلب توفيقه وهدايته واتخاذ منهجه سراج يستنير به، يقول العلي الحكيم: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [سورة الأنعام/104]

فالعقيدة بمثابة التربة الصالحة لغرس الأخلاق الفاضلة، التي توجه الإنسان نحو الخير وتبعده عن الشر، بإعداده إلى ممارسة المصالح ودرء المفاسد، وتحرير طاقاته الإيجابية لبلوغ الكمال، وتحقيق هدفه وغايته في الحياة.

فالعقيدة "كأساس من أسس الأخلاق تلعب أكبر دور في الحياة الأخلاقية من حيث أنها أكبر دافع يدفع الإنسان إلى الأعمال الإيجابية الخيرة، وأقوى رادع يكفه عن اتباع الهوى والشهوات، ومن حيث أنها المصدر الرئيسي للإحساس بقدسية القوانين الأخلاقية، وهذا بدوره هو المنبع الوحيد الذي يستقي منه الضمير الأدبي حياته الوجدانية"[(11)]

ولأهمية الأخلاق في إقامة نظام الحياة الإنسانية، فقد اهتمت العقيدة الإسلامية بها وركزت عليها ووضحتها للخلائق، فقد جاء القرآن الكريم دستورا للعقيدة الإسلامية ومتمما لمكارم الأخلاق، بتهذيبه للنفوس وإرشادها إلى صالح الأعمال، وذم فاسدها وتقبيحه، يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة يونس/57] فكل خلق فاسد هو سبيل إلى الهلاك، وقد ضرب الله عز وجل المثل لذلك بقوم هود، إذ تجبروا وكذبوا بما جاءهم به نبيهم هود عليه السلام، وبلغوا كل مبلغ في الفساد والضلال، وما كان عذرهم إلا أن قالوا {إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} [سورة الشعراء/137].

(11) يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، (ص 123).

فالقرآن الكريم يربط الأخلاق السامية الفاضلة المؤسسة للحياة الإنسانية السوية بالعقيدة الصحيحة، يقول الله سبحانه {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}[سورة النساء/125]، وجعل عز وجل للمؤمنين الآمرين بالخير والناهين عن الشر صفة الخيرية فقال: {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} [سورة آل عمران/ 114]، على العكس من ذلك فإن آي القرآن تربط ذميم الأخلاق بفساد العقيدة من حيث الفهم والتطبيق.

والترقي في درجات الكمال الإيماني، مؤسسا على الارتقاء في مدراج حسن الخلق وبلوغ أعلى درجاته، ذلك لأن المكون الأخلاقي في النفس الإنسانية، مرتبط ومؤسس على ما هو عقدي إيماني، مما يجعل السلوك الأخلاقي أثرا ومظهرا وممارسة عملية للإيمان.

حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لم يكن فاحشا ولا متفحشا، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أخيركم أحسنكم خلقا»[12]

فالأخلاق لا تحقق للإنسان سموه ورقيه إلا إذا ارتبطت بما هو عقدي ديني، وأسست على العقيدة الصحيحة التي تقدم التصور الصحيح عن الله عز وجل، والوجود والكون، وهكذا فالعلاقة بين ما هو عقدي وما هو أخلاقي، يمثل علاقة تلازم وترابط، لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع والداعم لأعمال الخير، والصاد والمانع لأفعال الشر واتباع الهوى.

وهذا ما يفسره الترابط بين العقيدة الصحيحة والأخلاق، حيث أن العقيدة تهدف إلى تفعيل الأخلاق والالتزام بها هذا من جهة، أما من الجهة الثانية، فإن الأخلاق في دعمها للإيجابيات، ودفع الإنسان إلى سلك مدارج الكمال، تهدف إلى تعزيز الإيمان، فالنبي ﷺ حين سأله عمرو بن عبسة عن «أي الإيمان أفضل؟ قال عليه الصلاة والسلام: خلق حسن»[13]، فربط عليه الصلاة والسلام الكمال الإيماني بالكمال الأخلاقي، لأن أسسهما ترجع إلى أصول نفسية واحدة، ولأن الإيمان هو ذاته عمل أخلاقي. فالأخلاق وليدة العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتجل عملي للعبادة الحقة والعبودية الخالصة لله عز وجل.

وهذا ما جعل الأخلاق تتميز في الإسلام، عن غيرها في الديانات والمذاهب والفلسفات الأخرى، فالأخلاق في غير المنهج الرباني تحكمها المصلحة الفردية أو المصلحة الجماعية المقيدة بقيود وضوابط من وضع الإنسان، مما جعلها تتصف بصفات النقص وغياب الهدف، خلافا للأخلاق الإسلامية التي تضبطها إرادة الله ومجانبة ما يكره. وهو ما يحفظها من التفلت والزيغ. فكل ما يسأل الناس إتيانه هو حصيلة للاستعداد النفسي الذي خلق به، ولم يكلف إلا بما هو في مقدوره ومتسق مع أصل فطرته، وإن ظلت نزعتي الخير والشر تتجاذب النفس الإنسانية، فإن الباري عز وجل لم يتركها هملا، بل وجهها ودلها على سبيل الصلاح والهدى، وبين سبحانه كلتا الوجهتين فقال سبحانه: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [سورة الإنسان/ 3].

والعقيدة الإسلامية في ربطها العمل الصالح بتزكية الأخلاق، تنطلق من قابليتها ومزجها لما هو مادي وما هو روحي. ذلك أن الإنسان في الملل والفلسفات والمذاهب الوضعية تجعل منه مركز الصراع بين المادة والروح، هذا التصادم الذي حكم الإنسانية

(12) البخاري، صحيح البخاري. كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، (ج8 / 12) ح ر 6029.

(13) ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد. أول مسند الكوفيين. حديث عمرو بن عبسة. ، (ج32 / ص 177) حديث رقم 19435.

لعهود، أدخل الفكر الإنساني إلى سرداب مظلم، لم يستطع الخروج منه إلا بذلك الفصل النكد للمادة عن الروح، وهي الدعوة التي دعت لها الكنيسة وحملت لوائها، بإبعادها الدين وفصله عن مناحي حياة الخلق، وحصر آثاره بين جدران الكنيسة لا يتعداه إلى غير ذلك، وبهذا فصل العمل عن جوهره الذي هو الصلاح، وصارت المصلحة الذاتية والفائدة العائدة من ورائه هي غاية كل فعل، وغذت بهذا الحياة الأوربية فارغة من كل قيمة أخلاقية.

في حين أن هذا الصراع المفتعل في ظل العقيدة الإسلامية لا وجود له، لصحة التصور القائم على التوافق بين الجانبين الروحي والمادي، فالإنسان في دين الإسلام مخلوق كريم، يسير وفق ما سنه الله عز وجل من قوانين الطبيعة المادية من غير تصادم أو صراع.

ولأن القيم الأخلاقية الإيمانية هي وحدة واحدة لا تقبل التجزئة ولا التمييز، ما يجعل من هذا النظام ذا فاعلية وتأثير، إنه يوجد في الإنسان التوازن الذي يحفظه من النزول إلى منزلة البهائم، ولا يمنعه من إقامة علائق سوية بينه وبين الأرض، فيتجلى ذلك التوازن في طريقة جمعه بين الفكر والعمل، والروح والمادة، والغيبي والمحسوس، من غير إفراط ولا تفريط، وفي نسق من السنن الكونية التي خلقها الله ليسير عليها ابن آدم من غير أن يَضل أو يُضل.

وهذا ما يظهر بوضوح في فلسفة المصلحة والمفسدة، حيث أن الشارع الحكيم جعل من حفظ المال والنفس من الضروريات الخمس الواجب حفظها، فرغب سبحانه إلى وجوب التنعم بكل النعم التي خلقها لعباده في الحياة الدنيا، وجعل الأصل فيها الإباحة واتخاذها وسيلة شرعية لعبادته والتقرب له سبحانه لا جعلها غاية لذاتها، بل بالنظر لما يغلب عليها من مصلحة أو مفسدة أخروية، والتي على إثرها تجتنى المصالح الدنيوية وتدفع المفاسد.

فكان مع هذا الاعتدال والتوازن الرباني، دفعة لكل عمل صالح يحقق مصلحة ويدفع مفسدة، فأجل المصالح وأهمها كما أظهرها البحث في مقاصد الدين الإسلامي، بلوغ الإنسان لدرجات الكمال في جميع جوانب الحياة، ولا يتحقق له ذلك إلا بصحة اعتقاده وتزكية وتنمية أخلاقه، وفي هذا يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده...ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله، فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق...، ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه لأن الباطن محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة"[14]

والباحث في جوانب الدين الإسلامي يجد أنه نظام وضع لتحقيق مصلحة الإنسانية، وجلب السعادة لها في هذه الحياة، تلك السعادة التي تنطبع في عقل الإنسان ونفسه، فتؤتيه الإحساس الدائم بخيريته، ولن يتأتى له ذلك إلا بصحة اعتقاده القائم على صحة العلم المنضبط بصحة منهج التفكير، لأن المعتقد يعبر عن مجموعة المبادئ واليقينيات التي تحكم العقل، فتوجهه إلى التمييز بين الصالح والفاسد، ولهذا يقول الحبيب ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه "خياركم إسلاما، أحاسنكم أخلاقا إذا

(14) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (ص 276).

فقهوا"[15]، ومتى صحة تصورات العقل الإنساني عن حقيقة ذاته وحياته ومصيره، تحققت لنفسه الطمأنينة والأمن والسعادة، فتزكو نفسه ويتحلى بكل مكرمة يكون معها صلاح نوعه وصلاح نظام الحياة.

"فأعظم ما بنى عليه الإسلام دعوته إلى مكارم الأخلاق وتهذيبها هو العناية بتربية النفس وإكمالها وتدريبها على متابعة الهدى والإرشاد الذي يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه، فذلك الإرشاد يتلقاه المسلم من الهدى الديني المعرب عن الإرشاد المعصوم من الخطأ"[16]

إن فلسفة الإسلام في تشكيل الأخلاق تتجلى في ذلك التنوع في الواجبات، ذلك أن الواجبات الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية والدولية هي قيود شرعية، وتمثل لصفات أخلاقية لها الدور الأساس في بناء الكيان المسلم، وعاملا لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي والعمراني.

وما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من أزمات أخلاقية، نتيجة حتمية لابتعاد المسلمين عن المنهج الحق، وغياب الفهم الصحيح الدقيق لأصول معتقده.

فالإسلام عقيدة وشريعة هو روح هذه الأمة، وهو الذي يحميها من الاندراس والضمور، لكن ما ينبغي على المسلم إدراكه، هو أن عقيدة الإسلام ليست ضربا من الخرافات والترهات، بل هي عقيدة مؤسسة على الوضوح والشمول والواقعية والتطبيق. ذلك لأن الإيمان الحق شامته العمل الصالح، الذي يفيض على أبناء الأمة المؤمنة والإنسانية جمعاء بالخير، ذلك أن الشخصية الربانية المتمسكة همها تحقيق الصلاح والإصلاح في الأرض، لتيقنها بأنها المهمة الموكلة لها والتي لأجلها استحقت الشهادة على غيرها{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[سورة البقرة/ 143]

المبحث الثاني: الشخصية الربانية في ظل جمالية ومقاصد العقيدة الإسلامية.

المطلب الأول: الشخصية الربانية في ظل جمالية العقيدة الإسلامية:

جعل الله سبحانه العبودية هي الحكمة من خلق الخلق {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} سورة الذاريات/ 56]. فخلق الكون وتسخيره للإنسان وتكليفه بعمارته ليمتحن إخلاصهم فيما كلفوا به، بل جعل من شروط هذا التمكين للاستخلاف تحقيق العبودية، فالله لم يخلق الخلق ويتركهم تائهين، بل خلقهم وجعل الإيمان فطريا في بني آدم وأقام عليهم الحجة وأخذ عليهم الميثاق {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ } [سورة الأعراف/ 172]، هذا العقد الرباني بين الخالق وخلقه، هو السر في خلق الكون وتكريم بني آدم، وابتلائه بأنواع التكليف.

(15) البخاري، صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} [يوسف: 7]، (ج4 / ص149) حديث رقم 3383.

(16) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص 120).

والقرآن الكريم ركز على العقيدة وبيان مقاصدها من أجل بناء شخصية ربانية، تتحقق من خلالها الهدف من الاستخلاف والسيادة في الأرض وتحقق الغاية من الخلق، لذا فالأوامر الإلهية موضوعها الفعل الإنساني، فجاءت الأحكام لتوجه أفعال العباد، ومبنى هذه الأحكام الامتثال لأوامر الله وإجلاله سبحانه.

وقد جعلت الربانية من سمات الشخصية في ظل العقيدة الإسلامية، لأن الرباني كما بينه الطاهر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [سورة آل عمران/79] أي " كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه. ومعنى أن يكونوا مخلصين لله دون غيره"[17] ، فالرباني نسبة إلى الرب، ثم بإبلاغ ما علموه من الخير للناس فقها وعملا، وتأثيرا بتكراره تدبرا وتحققا فالواقع، فالربانية منهج علمي لأن بلوغ الغاية من الربانية لابد فيها من قوة علمية وقوة عملية.

لذا كانت الشخصية الربانية التي أمرت بحمل الأمانة المتمثلة في الولاية الإلهية وبلوغ الغاية من الخلق بتحقق كمال العبودية، ذات معالم متى ما وجدت تحقق الهدف وبلغت الخلق الغاية والتي تحصل عن طريق المعرفة والفكر والعمل الصالح والأخلاق الربانية. ومتى ما جهلت الشخصية الربانية قيمها الحياتية وقعت في ظلم ذاتها وانتفت عنها صفة الربانية، لأن من سمات هذه الشخصية سمة الاختيار والحرية والإرادة المنطلقة من الاعتقاد الحق بوحدانية الخالق وإخلاص العبودية له سبحانه. وأهم معالم الشخصية الربانية نجد:

أولا – **التفكر الإيماني:** فالقوة العلمية للشخصية الربانية في ظل العقيدة الإسلامية مبناها الفكر، وقد وضح البحث في المطلب الأول من المبحث الأول منه، أن الاعتقاد بها لا يتم تلقائيا أو بقوة جبرية أو يلقى في قلوب الخلق من غير اختيار، بل هو مجهود فكري يبذله العقل حتى يثبت في الإنسان ولا يزعزعه شيء إلا في حال العناد والجحود، والقرآن الكريم في كثير من آياته وجه إلى هذه الحقيقة، بل حينما خاطب المنكرين بعد اتهام الرسول ﷺ بالجنون كنتيجة حتمية للكفر بما أرسل به من الحق، دعاهم إلى التفكر واعمال الفكر فقال سبحانه { إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سورة سبأ/46]، فالباري عز وجل وجه عباده إلى المنهج الحق لبلوغ الحق والسير إليه وإقامة الحجة عليهم، فبين سبحانه المنهج العلمي للإيمان به وهو القيام له والتفكر بالتفرغ لذلك فرادى حتى يمكنهم من حقيقة هذا الدين.

"فالإيمان شيء باطني ذو أثر في تصرفات الإنسان واتجاهاته، ولكنه لا يحصل إلا كنتيجة للنظر والبحث والتفكير وسائر المجهودات العقلية التي يبذلها الإنسان"[18] ولا شك أن التفكر الإيماني يهدي صاحبه لإدراك الحقيقة {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [سورة آل عمران/191]، هذا التفكر يمر في قناة العقل، ومعلوم أن العقل دوره جمع الحقائق وتعقلها لكن القرار للقلب، فكان التفكر في القرآن فعل وجداني بالأساس.

---

(17) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج3 ص 296).

(18) الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (ص 10).

يقول ابن القيم رحمه الله: "الفكرة عمل القلب والعبادة عمل الجوارح والقلب أشرف من الجوارح فكان عمله أشرف من عمل الجوارح وأيضا فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على مالا يوقعه عليه العمل المجرد فان التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الامور وظهورها له وتميز مراتبها في الخير والشر ومعرفة مفضولها من فاضلها واقبحها من قبيحها ومعرفة أسبابها الموصلة اليها وما يقاوم تلك الاسباب ويدفع موجبها والتمييز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه"[19]

العقيدة الإسلامية في تشكيل الشخصية الربانية، تقوم بخلق التفاعل في الفكر بإشباع حاجات القلب الروحية، لا علما جدليا لا ثمار له إلا إشباع رغبات العقل المجادل، فهي تخاطب العقول لتنفذ من خلالها إلى القلوب. بدعوة العقول إلى النظر الصحيح لإقامة الحجة والبرهان، في إطار منهج إلهي يحث على استقامة القلب والعقل فلا يبقي مجالا للظن والوهم.

ثانيا– **الأخلاق الإيمانية:** باعتبارها القوة العملية للشخصية الربانية في ظل العقيدة الإسلامية، فجمالية العقيدة الإسلامية في بلورة الشخصية الربانية تتمثل في تفعيل الأخلاق والالتزام بها من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الأخلاق تعزيز للإيمان.

وفي المسار التأسيسي للأخلاق الإيمانية التي تشكل أهم مميز للشخصية الربانية، جعلت التقوى مكونا عقائديا لتثبيتها وصيانتها من كل ما قد يعتري النفس البشرية من زيغ وضلال، حيث شكلت الضابط والمقيد والمقوم لكل سلوك للعبد، ومناط الفلاح والصلاح لذوي العقول والأفهام، يقول الله عز وجل: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة المائدة/100].

ذلك لأن التقوى تمثل التجلي الحقيقي لقوة الإيمان في قلب العبد، فمن المعلوم أن القلب هو المركز الذي ينطبع فيه الإيمان بالله، فإذا صلحت هذه المضغة صلح ظاهر العبد، وأتى فعله ترجمة لتأثير القوة الإيمانية التوحيدية فيه، وهذا ما أشار له النبي ﷺ حين قال: «التقوى ههنا ، وأشار إلى صدره »[20] ، ومن فقه الصحابة ورجاحة عقولهم، ومتانة فهمهم لهذا الحديث، "أن قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف وذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان تمده بالإيمان، ومادة تمده بالنفاق، فأولئك الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا"[21]

ولأجل ذلك جعل المعيار الحقيقي لمتانة وقوة الإيمان مدى تشبع قلب العبد بتقوى الله سبحانه، فالقلب يعد الملك للجسد وباقي الجوارح هي أتباع له، فيوجهها لكل خير وجميل خلق، ولهذا ربط الحق سبحانه صلاح الأفعال بها فقال سبحانه وتعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [سورة الحج/32]، ولهذا كان للتقوى الأثر الفعال في تأسيس الأخلاق في المنهج الإسلامي، فما من أمر أو نهي ينبني على إثره فعلا أخلاقيا، إلا وأتى مقترنا ومحققا بتحقق التقوى.

(19) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (ج 1 ص 186).

(20) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (ج4 / 986) حديث رقم 4650.

(21) ابن تيمية، مكارم الأخلاق، (ص 78).

فالشخصية الربانية أخلاقها مؤسسة على التقوى، باعتبارها الوجاء الذي يحفظ صاحبه من إتيان المعصية، وبها يتحسن مآل العبد وينعم بالسعادة في الدنيا والآخرة، ولأنها العاصم لمنازع النفس الإنسانية عن الانفلات والانقياد خلف الملذات ومطالب الهوى وكيد الشياطين، وذلك من خلال حفظ حرمات الله وحدوده، ومراقبته سبحانه في كل ما يأتيه العبد في السر والعلن، بفعل ما أمر به سبحانه من خير، وترك ما نهى عنه من شر، وهذا ما عبر عنه المحاسبي في تعريفه لتقوى إذ يقول: "قلت: فما التقوى؟ قال: الحذر بالمجانبة لما كره الله عز وجل، قلت الحذر من ماذا؟ قال: الحذر من الله عز وجل؟ قلت: في ماذا؟ قال: في خصلتين، تضييع واجب حقه، وركوب ما حرم ونهى عنه في السر والعلانية، وتجمع ذلك خصلتان: القيام بما أوجب الله عز وجل لله، وترك ما نهى الله عز وجل عنه لله تبارك وتعالى"(22)

وهذا تجل من تجليات جمالية العقيدة الإسلامية في البناء الأخلاقي للشخصية الربانية بجعل التقوى مكونا للأخلاق، ذو أثر يتجلى في أن أفعال العبد تغدو محاطة بسياج من المسؤولية الذاتية، المنبعثة من الثوابت العقدية نحو الذات والأفراد المشكلين لنسيج المجتمع، بحيث يصير كل فعل معها فعلا أخلاقيا إيجابيا، يخدم صالح الفرد والجماعات المؤسسة للأمة الإسلامية، في إطار من العلائق ذات الحلقات المتصلة بعضها ببعض برباط الإيمان الراسخ بالله عز وجل، الهادي عباده المتقين إلى أحسن الأخلاق والصارف عن أسوئها، فعن طاووس قال: قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "إنما يهدي إلى أحسن الأخلاق الله، وإنما يصرف عن أسوئها هو"(23)

فالضمير الأخلاقي للشخصية الربانية يتشكل في ظل التصور العقدي الصحيح لما يحبه الله ويرضاه، ومن خلال الإدراك الصحيح لحقيقة التوحيد. ففي ظل هذا الفهم الصحيح تتشكل الشخصية المسلمة المتوازنة في جانبيها الروحي والمادي وفق قواعد وأسس الصلاح والخير، وهو الضمان لصلاحه واللبنة الأولى التي يرتكز عليها صلاح الجماعة المسلمة.

إن عقيدة الإسلام في تشكيلها للشخصية الربانية كان لها أثر روحي على الفكر والأخلاق، وهذا ما أكده الرعيل الأول من صحابة رسول الله، فما إن وقعت الآيات القرآنية على قلوبهم، إلا خلقت فيهم تفاعلا لا نظير له، فحولتهم من بشر مرتبط بعلائق التراب إلى خلق تمثلت فيهم أعلى سمات الربانية، فقادوا العباد والبلاد إلى أعلى مراقي الحضارة الإنسانية منطلقهم ومعتمدهم كلمة واحدة "لا إله إلا الله".

المطلب الثاني: المقاصد العقدية لبناء الشخصية الربانية:

التوحيد الذي لا يتحقق إلا بإخلاص العبودية لله تعالى، يمثل أساس العقيدة الإسلامية، وذلك لما له من مقاصد جليلة في حياة الفرد المسلم خاصة، وحياة المجتمع الإسلامي عامة؛ فبه تستجلب الشخصية الربانية صفاءها، ولا يتحقق سلام المجتمع وحريته إلا به؛ حيث يخلع المؤمن عبادة ما سوى الله تعالى، وتتجرد النفس البشرية من أهوائها وأمراضها، فهو اللبنة الأولى في تأسيس كيان المجتمع المسلم وتشييد بنيانه بإخراج الأفراد الربانيين المستنيرين بهدي الوحي ونوره.

---

(22) المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، (ص 58).

(23) ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد. مسند الخلفاء الراشدون، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (ج2 / ص 133) حديث رقم 729.

لذا كان الإيمان بوحدانية الله عن طريق النظر والتدبر والتفكر، فدعا العقل ودفعه إلى التفكير في الكون، لأنه أهم قضايا الحياة وهو قاعدتها الصلبة الكبيرة، يقول الله عز وجل تبصيرا لخلقه بقدرته {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية / 17 – 20]. "فالإسلام أيقظ في الإنسان وعيا كونيا عن طريق وصل الإنسان حواسه بالكون، وما أودع فيه من قوانين وسنن ثابتة، وبذلك جعل الإسلام العقل حكما في قضية الألوهية الكبرى."[(24)]

فلم يكن المقصد من العقيدة الإسلامية استجلاب الأعداد الكبرى للانتساب لهذا الدين، بل كان الغرض من الإيمان بالله عز وجل وحده لا شريك له، تحقيق أعظم ما ينشده الموحد في حياته، إنها السعادة الخالدة التي مبدؤها الحياة الدنيا حيث تبث الطمأنينة في القلب وتجلب له الرضا، رجاء الخلود السعيد، فنفس الموحد مطمئنة خلاف المشرك الذي لا يعلم إلى أي جهة يتوجه، ومن يرشده ويهديه، وقد ضرب الله عز وجل مثلا لمن يطمئن بإيمانه ومن تصارعه الأفكار والعقائد، فيبقى مشتت الفكر والعمل لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيقول سبحانه {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر/29].

ولما كان التوحيد هو جوهر ومحور العقيدة الإسلامية، وكان أعظم مقاصده إخلاص العبادة لله، التي من ثمراتها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فإذا صلح الإيمان وقوي الاعتقاد بالتوحيد الخالص لله، تحققت معه المقاصد الكبرى في هذه الحياة الدنيا، هذه المقاصد التي تظهر آثارها على الفرد والمجتمع، هذه المقاصد المتجلية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته وأهمها:

أولا: مقصد الانضباط والثبات وأثره في البناء الفكري الأخلاقي للشخصية الربانية:

فتوحيد الله عز وجل يورث في نفس الشخصية الربانية طمأنينة تحفظها من الضلال {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد / 28] فينشأ على أثرها انضباطا في عقله وقلبه، وتوحدا في تصورها وفكرها وقيمها، فالإيمان بوحدانية الله هي نقطة الارتكاز التي تدور حولها مهمة الإنسان في هذا الكون {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}[النور / 55] إن مهمة الاستخلاف وعمارة الأرض لن يمكنها الله عز وجل إلا لمن كمل دينه وخلص توحيده، لأن القوة المحركة للبشر متى اختلت بداخلهم إلا وكان نتاجه اضطراب وخروج عن الحياة، وهي من السنن الكونية والحضارية منذ خلق الله الكون، فمعيار اختلال التوازن لدى بني آدم مرجعه إلى اختلال الاعتقاد بالله ربا خالقا رازقا مليكا متصرفا.

وقصة نوح عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم تمثل هذه الحقيقة، فنوح عليه السلام .كما يروي ذلك ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[(25)] . أول رسول بعثه الله عز وجل إلى أهل الأرض لما ضل الناس، واتخذوا مع الله أندادا وأصناما يعبدونها من دونه

(24) الدريني، دراسات وبحوث ممهدة في الفكر الإسلامي المعاصر، (ج 3 ص 407).

(25) ابن كثير، البداية والنهاية، (ج 1 ص 101).

سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف / 59 – 62] فكان موقفهم من دعوته {فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ}[الأعراف / 64] فنوح عليه السلام حين سأل قومه الرجوع إلى دين الله دين الحق، وترك ما يأتونه من المنكرات كفروا، لأن الموجه الحقيقي بدواخلهم قد أضاعوه، ففقدوا الخيرية التي لأجلها كرم الله بني آدم كنتيجة لاختلال الفكر والقيم الأخلاقية، فكان نتاج ذلك أن أرسل عليهم الطوفان.

والمتمعن في أحداث قصة الطوفان يرى بوضوح وجلاء أن الله سبحانه ينصر قومه الموحدين المتقين وإن كانوا قلة مستضعفين، لكنهم في حقيقة الأمر قوة جبارة، ملكت مفاتيح الخير كله، وجعل رؤاها للكون تسير بنور من الله، ثابتة الخطى موحدة المنهج، وهذا أثر العقيدة الصحيحة فالإنسان حين يبلغ أغوار حقيقة التوحيد يدرك كنه الأشياء من حوله، ويعلم أنها مسخرة له من قبل العزيز الرحيم، حمله الأمانة واستخلافه في الأرض لإعلاء كلمة الله، حركاته وسكناته تدور حول هذه الغاية والهدف، خلاف غير الموحد فهو في اضطراب وقلق وتشتت {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ} [المنافقون / 4] تتضاربه الأفكار والأهواء، يتخبط يمينا وشمالا مرة مع هذا المذهب، وأخرى مع هذا المنهج، ومرد ذلك التعقيد والتخبط انعدام الوضوح في معتقداته، فالارتباط بغير الله يورث في القلب القلق والاضطراب.

"بينما نجد التوحيد عند المؤمن يجعل عقله في انضباط كامل، بحيث تكون تحركاته منضبطة لا تأرجح فيها، وهو يتعامل مع الله الواحد الخالق المنفرد في السلطان والحاكمية على أنه عبد وظيفته التلقي والتنفيذ"(26)

إن هذا المقصد من المقاصد العقدية في بناء الشخصية الربانية، يشكل عاملا أساسيا في بلوغ النفس الإنسانية رضا وسلامة وصفاء، {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام / 82].

ثانيا: مقصد العمل الصالح:

ومن مقاصد العقدية في البناء الفكري والأخلاقي للشخصية الربانية تحقيق الحياة الطيبة للإنسان حتى يحيا في ضل رضا وقناعة، والتي لا تستجلب إلا بالعمل الصالح {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل /97] فالعمل الصالح جعل جزءا من الإيمان في العقيدة الإسلامية، وهو تطبيق عملي للعقيدة ومن نتائجها، ففي العقيدة الصحيحة لا تناف فيها بين القول والفعل، بل هي كما يعرفها العلماء قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، على أن غالبية الآيات القرآنية التي يذكر فيها لفظ الإيمان، إلا و يأتي مقترنا بها العمل الصالح أو لفظ الاستقامة، قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} [البقرة / 277] وكذا قوله عز وجل {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت / 30].

(26) البغا، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، (ص 103).

لذا كان الجزاء على العمل متعلق بالإيمان، فأهل "الجنة هم أهل الإيمان، وأهل النار هم أهل الكفر، فيما شاء الله من الآيات، حتى صار ذلك معلوما شائعا، متواترا اضطراريا من دين الرسول عند كل من بلغته رسالته"[27]

فالمؤمن امرئ صالح نقي مؤثر ولا يكون ذلك إلا للمؤمن، فلا ينعت بالصلاح والفلاح والرشد الكافر المشرك، مهما عمل من خير وصلاح، فلا يتساوى عمل الأول مع الثاني وإن كان ظاهره الخير والصلاح، لأنه يفتقد القاعدة الأساس التي يقام عليها كل عمل، تلك المتمثلة في توحيد العبادة لله، لا للضمير الإنساني أو غيرها من المسميات الفاقدة للهدف والغاية، التي لأجلها خلق الخلق وجعل الجزاء والحساب والثواب والعذاب، يقول الله عز وجل:{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة / 19]. فجعل انتفاء الإيمان عن صاحبه محبطا لكل عمل خير وسببا لزواله {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [النور/ 39].

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تحث الفرد المسلم على فعل الخير وإتيانه، وجعله مقياسا للتفاضل في تحقق الإسلام الحقيقي ومن تمام الإيمان، فعن أبي موسى . رضي الله عنه . "قال: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده"[28]

فالشخصية الربانية في عملها للخير والصلاح يكون من منطلق إيمانها، وفي تناسق مع بناها الفكرية والوجدانية، فلا يظل مع هذا مفهومه للتعبد مقتصرا على أدائه للفرائض والأوامر، بل يصبح كل "قول سديد أو إنتاج فكري أو وجداني أو عمل مادي متقن من تجارة أو زراعة أو صناعة أو سلوك صالح إذا قصد فيه ابتغاء مرضاة الله هو عبادة الله"[29]

وقد نفى النبي ﷺ الإيمان عمن طغت أنانيته، ولم يحب لغيره من المسلمين ما يحب لنفسه، لأن الإيمان الحقيقي من علاماته المحبة التي تتجلى في العمل الصالح لكافة الخلائق، وعلى رأسهم إخوانه في الدين فعن أنس . رضي الله عنه . قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[30].

كما أن دعوة العقيدة الإسلامية إلى العمل الصالح لم تقتصر على الصلاح فيما بين المسلمين فحسب، بل دعت إليه حتى مع غير المسلمين، {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة / 8].

فالعمل الصالح من المقاصد العقدية لإخراج الشخصية الربانية، وهو الغاية التي من أجلها وجدت الحياة، هذه الأخيرة التي أحيطت بكل أنواع الابتلاء {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ

(27) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (مج 2 ص5).
(28) البخاري، صحيح البخاري. كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، (ج 1 ص 11)حديث رقم 11.
(29) الدريني، دراسات وبحوث ممهدة في الفكر الإسلامي المعاصر، (ج 3 ص 617).
(30) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ، (ج 1 ص 12). حديث رقم 13.

الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك / 1 – 2]، فسنة الابتلاء من آثارها في حياة الفرد المؤمن أنها تدفع المؤمن للعمل الصالح عن إرادة واختيار، فـ "يصحح نيته ويلجم هواه ويطلق سعيه المبارك إلى الخير والصلاح"(31)

ثالثا – مقصد خلق الفاعلية:

ومن مقاصد العقدية خلق قوة الفاعلية في الشخصية الربانية، ولهذا الأثر شاهد من التاريخ الإسلامي، إذ لقوة الفاعلية أهمية عظيمة في سيادة الأمة الموحدة، وتصدرها للبناء الحضاري الإنساني.

فالشخصية الربانية في ظل العقيدة الإسلامية تنتقل من ظلام الجاهلية إلى نور الهداية، ومع انتقالها ذاك تتغير اتجاهاتها وسلوكياتها وتوجه طاقاتها وجهة صحيحة، فالإنسان تتألفه مجموعة من الأفكار والمبادئ والأخلاق المؤسسة لشخصيته والتي تتأثر بمعتقداته، ولهذا شبه الناس بالمعادن، "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"(32)، فالإنسان الذي وفقه الله إلى توحيده، كأفضل المعادن، يزيده إيمانه قيمة ويفجر فيه كل مكامن الخير عنده، فيتجلى ذلك في طاقات كبيرة.

وقد ضرب صحابة رسول الله ﷺ أروع المثل في ذلك، فمصعب بن عمير(33) كان أول المهاجرين إلى المدينة المنورة، وقد أناطه النبي ﷺ بمهمة نشر الدعوة بين الأوس والخزرج، على أن يوافيه الموسم الموالي ومعه فلول منهم حتى يبايعوه على نصرة الإسلام، ومصعب بن عمير الشاب الغني لما علم قيمة المسؤولية التي أنيطت له، لم يتقاعس أو يستصعب المهمة، بل أثبت أنه خير سفير للإسلام.

فحين اعتمده النبي ﷺ لدى أهل يثرب، قام بمهمته خير قيام إذ استطاع بدماثة خلقه وصفاء نفسه، أن يجمع كثيرا من أهل يثرب الممثلين في قبيلة بني عبد الأشهل، إذ أسلمت جميعها على يديه بقيادة رئيسها سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقبل حلول موسم الحج عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر النصر والفوز.

ذاك هو تأثير قوة الفاعلية في الشخصية الربانية، التي تبعث طاقاتها فتزيدها همة وإرادة، فينبت نباتا حسنا على المجتمع بكل خير.

وأثر هذا المقصد يتجلى في تحديد الهدف والغاية من الحياة، فتحديد الأهداف يمثل دافعا لتأسيس كيان موحد على أصول وقواعد سليمة غايتها إرضاء الله عز وجل، فتظهر في الأمة طاقات فكرية وعملية في كل الاختصاصات، ولا تغدو المصلحة الفردية هي

---

(31) النحوي، التوحيد وواقعنا المعاصر، (ص 245).

(32) البخاري، صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} [يوسف: 7]، (ج4 / ص149) حديث رقم 3383.

(33) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج 4 ص 134 – 135).

المسيطرة على عقل البشر، ولا العلم والمادة هدفا لذاته بل وسيلة لاستجلاب المقصد الأسمى وهو إعلاء كلمة الله، والفوز بالثواب في الأخرى.

وبهذا تتعدد الانتاجات في جل الاختصاصات، سائرة على نهج الله سبحانه لتشكل مجتمعا واحدا، هو المجتمع المسلم حيث لا وجود للطاقات المبددة، بل تنصهر وتتكامل في وحدة عقدية وإن اختلفت أقطارها وألسنها، لا فرق بين عزيزها وفقيرها.

وأثر قوة الفاعلية في كيان الأمة ماثل في التغيير الذي أحدثته عقيدة التوحيد في أهل الجزيرة العربية، قوم بدون طاقات ولا علم، لكن بصلاح اعتقادهم وثبات إيمانهم، كان لهم النصر والسداد والسؤدد، فبلغت الأمة بهم أرقى مستويات الحياة، وانتشر دين الله على أيديهم وبلغ إلى ما وراء المحيط، لأن أثر التوحيد خلق همة وفاعلية ما شهد العالم لها نظير، فلم يكن هدف دنيوي يحكمهم بل رضا الله هو الذي دفعهم لنشر دين الله، وإعلاء كلمة التوحيد يفدونها بالمهج.

وجملة القول: "إن التوحيد يكفل تجمع الشخصية والطاقة في كيان الفرد المسلم، والجماعة المسلمة وينفي التمزق والانفصام والتبدد...وهذا التوحيد هو الذي أنشأ طاقة هائلة لا يقف في وجهها شيء."(34)

ومن آثار مقصد الفاعلية توجيهه للفكر ولعمل المؤمن، حيث تطبع ممارساته في الحياة بطابع التوحد، "بحيث يصير كل نشاط ذهني أو عملي دائرا في بنيته وغايته على قانون من الوحدة التي تتألف بها المختلفات وتتوحد بها المقاييس"(35)

فيشكل المجتمع الموحد الرؤى والبنى، فيحمله ذاك على الاستقامة على أمر الله، و إذا ضعف تنتقل إثره الفاعلية من الإيجابية إلى السلبية، فتتجلى في اختلالات فكرية تؤدي إلى الحياد عن طريق الاستقامة إلى طريق الانحراف، وتاريخ الأمم شاهد بذلك، فشيوع الفاحشة والفساد والظلم، من نتائج تضييع توحيد الله، فكانت فاعلية الأمم الكافرة في الباطل لا في الحق {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [المائدة / 79]

الخاتمة

الحمد لله على فضله وكرمه، الحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات، على التوفيق والسداد لإتمام هذا البحث، ويمكن إجمال أهم نتائج ومحصلة البحث فيما يلي:

أولا- أهمية العقيدة الإسلامية في تشكيل جملة المفاهيم التي تحكم حياة العبد لتوجهه لجلب المصلحة ودفع المفسدة.

ثانيا- تشكل العقيدة من منطلق فكري وجداني إرادي يمثل حصنا حصينا يصعب اختراقه أو إنكاره، فهي تمثل مفاهيم وتصورات من المسلمات التي توجه العواطف والغرائز، وبها تتميز الشخصية الربانية عن ما سواها.

ثالثا- ربط القرآن الكريم الأخلاق السامية الفاضلة المؤسسة للحياة الإنسانية السوية بالعقيدة الصحيحة.

(34) - البغا، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، (ص 104).
(35) - النجار، فقه التحضر الإسلامي، (ص)64.

رابعا– نصوص الوحي بينت الترابط بين العقيدة الصحيحة والأخلاق، حيث أن العقيدة تهدف إلى تفعيل الأخلاق والالتزام بها، والأخلاق في دعمها للإيجابيات ودفع الإنسان إلى سلك مدارج الكمال.

خامسا– أن الشخصية الربانية تدرك أن عقيدة الإسلام ليست ضربا من الخرافات والترهات، بل هي عقيدة مؤسسة على الوضوح والشمول والواقعية والتطبيق. ذلك لأن الإيمان الحق شامته العمل الصالح، الذي يفيض على أبناء الأمة المؤمنة والإنسانية جمعاء بالخير

سادسا– القرآن الكريم ركز على العقيدة وبيان مقاصدها من أجل بناء شخصية ربانية، تتحقق من خلالها الهدف من الاستخلاف والسيادة في الأرض وتحقق الغاية من الخلق.

سابعا– جمالية العقيدة الإسلامية في الشخصية الربانية تتمثل في خلق التفاعل في الفكر بإشباع حاجات القلب الروحية، وبدعوة العقول إلى النظر الصحيح لإقامة الحجة والبرهان بعيدا عن الظن والوهم.

ثامنا– جمالية العقيدة الإسلامية في بلورة الشخصية الربانية تتمثل في تفعيل الأخلاق والالتزام بها ولكونها تعزيز للإيمان.

تاسعا–العقيدة الإسلامية جوهرها التوحيد وهو أساس المقاصد العقدية للشخصية الربانية، ومنه تنبثق باقي المقاصد من الثبات والانضباط والعمل وخلق الفاعلية.

التوصيات:

- عقد دورات علمية تعزز التمسك بالعقيدة الإسلامية، وتوضيح مقاصدها في بناء الشخصية الربانية التي تلتزم بالأوامر الالهية لتحقيق الاستخلاف في الأرض.
- اعتناء الباحثين بأهمية فرد أبحاث توضح وتبين قوة العقيدة الإسلامية في البناء الفكري الأخلاقي للمسلم، وما له من أثر في إخراج جيل مؤمن إيمان الاختيار لا الدار.
- تنظيم مجالس علمية وفكرية تعمل على إبراز جمالية العقيدة الإسلامية لتحصين المسلم خاصة أمام ظهور التيارات الالحادية والمذاهب التي تعمل على استيلاب المسلم فكرا وهوية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد. د.ت. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا. د.ط. د.م. د.ن.
- الألباني، محمد ناصر الدين. سنة 1415 هـ - 1995م. سلسلة الأحاديث الصحيحة. د.ط. الرياض/ المملكة العربية السعودية. مكتبة المعارف.
- البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل. سنة 1425 هـ - 2004. صحيح البخاري. ب.ط. القاهرة. دار الحديث.
- البغا، مصطفى ديب. سنة 1997. نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع. د.ب. دمشق. دار الفكر.
- الترمذي، أبي عيسى بن سورة. سنة 1421 هـ - 2000 م. سنن الترمذي. تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار. الطبعة الأولى. لبنان – بيروت. دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد الحراني. سنة 1416هـ / 1995م. مجموع الفتاوى. جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة المنورة. مجمع الملك فهد.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد. سنة 1423هـ - 2003م. مكارم الأخلاق. تحقيق: عبد الله بدران محمد عمر الحاج. الطبعة الأولى. صيدا / بيروت. المكتبة العصرية.
- ابن حنبل، أحمد. سنة 1416هـ. سنة 1416 هـ 1995م. مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى. بيروت/ لبنان. مؤسسة الرسالة.
- دراز، محمد عبد الله. د.ت. الدين. د.ط. الكويت. دار القلم.
- الدريني، فتحي. د.ت. دراسات وبحوث ممهدة في الفكر الإسلامي المعاصر. الطبعة الأولى. بيروت. دار قتيبة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. سنة 1426هـ - 2005م. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الأولى. مصر. دار السلام.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. د.ت. التحرير والتنوير. د.ط. تونس. دار سحنون.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. سنة 1421هـ - 2001م. مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الطاهر الميساوي. الطبعة الثانية. الأردن. دار النفائس.
- العقاد، عباس محمود. د.ت. الله جل جلاله. ب.ط. صيدا / بيروت. المكتبة العصرية.
- ابن قيم الجوزية، مُحمّد بن أبي بكر . سنة 1419-1998هـ. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. طبعة السادسة. بيروت/ لبنان. دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. د.ت. البداية والنهاية. د.ط. بيروت. مكتبة المعارف.
- المحاسبي، الحارث بن أحمد. سنة 1420 هـ - 1999م. الرعاية لحقوق الله. تحقيق: عبد الرحمن عبد الحميد البر. الطبعة الأولى. مصر. دار اليقين.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. سنة 1988م. العقيدة الإسلامية و أسسها. ب.ط. دمشق. دار القلم.
- النحوي، عدنان علي رضا. سنة 1418 هـ / 1997 م. التوحيد وواقعنا المعاصر. الطبعة الثالثة. المملكة العربية السعودية. دار النحوي.
- ابن نبي، مالك. سنة1987م. شروط النهضة. ترجمة عبد الصبور شاهين. الطبعة الرابعة. دمشق / سوريا. دار الفكر.

- النووي، محي الدين. سنة 1418هـ – 1997م. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي. تحقيق: خليل مأمون شيحا. الطبعة الرابعة. لبنان / بيروت. دار المعرفة.
- النجار، عبد المجيد عمر. سنة 1999. فقه التحضر الإسلامي. ب.ط. بيروت. دار الغرب.
- يالجن، مقداد. سنة 1392هـ – 1973م. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، الطبعة الأولى. مصر. مكتبة الخناجي.

Sources and references

1. The Holy Quran.
2. Al-Akkad, Abbas Mahmoud. D. ***God almighty.*** (In Arabic), duck. Saida / Beirut. The modern library.
3. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. In the year 1415 AH - 1995 AD. ***Correct Hadith Series***. (In Arabic), Dr. T. Riyadh, Saudi Arabia. Knowledge Library.
4. Al-Bagha, Mustafa Deeb. Year 1997. ***The system of Islam in belief, ethics and legislation***. (In Arabic), Bear. Damascus. Thought House.
5. Al-Bukhari, by Abu Abdullah Muhammad bin Ismail. Year 1425 AH - 2004. ***Sahih Al-Bukhari.*** (In Arabic), duck. Cairo. House of Hadith.
6. Al-Midani, Abdul-Rahman Hassan Habanaka. In the year 1988 AD. ***The Islamic faith and its foundations.*** (In Arabic), duck. Damascus. Pen House.
7. Al-Mohasibi, Al-Harith bin Ahmed. In the year 1420 AH - 1999 AD. ***Care for the rights of God.*** (In Arabic), Investigation by: Abd al-Rahman Abd al-Hamid al-Barr. First edition. Egypt. Al-Yaqeen House.
8. Al-Najjar, Abdul Majeed Omar. Year 1999. ***The jurisprudence of Islamic civilization.*** (In Arabic), duck. Beirut. West House.
9. Al-Nawawi, Muhyiddin. In the year 1418 AH - 1997 AD. ***Sahih Muslim***, (In Arabic), explained by Imam Al-Nawawi. Investigation by: Khalil Mamoun Shiha. Fourth edition. Lebanon / Beirut. House of Knowledge.
10. Al-Tirmidhi, Abu Issa ibn Surah. In the year 1421 AH - 2000 AD. ***Sunan al-Tirmidhi***. (In Arabic), Investigation by: Mahmoud Muhammad Mahmoud Hassan Nassar. First edition. Lebanon - Beirut. Scientific Books House.
11. Diraz, Muhammad Abdullah. D. ***Religion.*** (In Arabic), Dr. T. Kuwait. Pen House.
12. El-Derini, Fathy. D. ***Paved studies and research in contemporary Islamic thought***. (In Arabic), First edition. Beirut. Dar Qutaiba.
13. Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abi al-Hassan Ali bin Muhammad. D. ***The Forest Lion to Know the Companions,*** (In Arabic), Edited by: Khalil Mamoun Shiha. Dr. T. blood. D.
14. Ibn Ashour, Muhammad al-Taher. D. ***Liberation and Enlightenment.*** (In Arabic), Dr. T. Tunisia. Sahnoun House.
15. Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher. In the year 1421 AH - 2001 AD. ***Objectives of Islamic law.*** (In Arabic), Investigation by: Muhammad Al-Taher Al-Misawi. Second Edition. Jordan. House of Nafaes.
16. Ibn Ashour, Muhammad al-Taher. In the year 1426 AH - 2005 AD. ***The Origins of Social Order in Islam***, (In Arabic), First Edition. Egypt. Dar AISalaam.
17. Ibn Hanbal, Ahmad. Year 1416 AH - Year 1416 AH 1995 AD. ***Musnad of Imam Ahmad***. (In Arabic), Investigated by: Shuaib Al-Arnaout. First edition. Beirut, Lebanon. Mission Foundation.
18. Ibn Kathir, Ismail bin Omar. D. ***The beginning and the end.*** (In Arabic), Dr. T. Beirut. Knowledge Library.
19. Ibn Nabi, Malik. In the year 1987 AD. ***Terms of rebirth.*** (In Arabic), Translated by Abdul Sabour Shaheen. Fourth edition. Damascus, Syria. Thought House.

20. Ibn Qayyim al-Jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr. The year 1419-1998 AH**. *The key to the House of Happiness and the publication of the mandate of knowledge and will.*** (In Arabic), Sixth edition. Beirut, Lebanon. Scientific Books House.
21. Ibn Taymiyyah, Sheikh of Islam Ahmad Al-Harrani. In the year 1416 AH / 1995AD. ***Total fatwas.*** (In Arabic), Collection: Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim. Medina. King Fahd Complex.
22. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Ahmad. In the year 1423 AH - 2003 AD. ***High morals.*** (In Arabic), Investigated by: Abdullah Badran Muhammad Omar Al-Hajj. First edition. Saida / Beirut. The modern library.
23. The grammar, Adnan Ali Reda. In the year 1418 AH / 1997AD. ***Monotheism and our contemporary reality.*** (In Arabic), Third edition. Saudi Arabia. Grammar House.
24. Yaljin, Miqdad. In the year 1392 A.H. - 1973 A.D. ***The Ethical Trend in Islam***, (In Arabic), First Edition. Egypt. Al-Khanaji Library.